

﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً
مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ
أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَازُوهُمَا
فَإِنْ تَابَا وَأُصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝١٦﴾

[النساء: 15 - 16]

❁ مُنَاسَبَةُ الْاِثْنَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

المناسبة بين
معاشرة النساء
بالحسنى،
وتغليظ العقوبة
على المنحرفات
منهنّ

لَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ الْأَمْرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى النِّسَاءِ، وَمَعَاشِرَتَهُنَّ بِالْجَمِيلِ، وَكَانَ الْإِحْسَانُ فِي الدُّنْيَا تَارَةً يَكُونُ بِالثَّوَابِ، وَتَارَةً يَكُونُ بِالزَّجْرِ وَالْعِتَابِ، ضَمَّ إِلَى ذَلِكَ التَّغْلِيظَ عَلَيْهِنَّ فِيمَا يَأْتِيَنَّهُ مِنْ أَفْحَشِ الْعَصِيَانِ، وَهُوَ الْفَاحِشَةُ، فَإِنَّ فِي الْكَفِّ عَنِ الْفَسَادِ لَثَلًا يَلْقِيَهُنَّ ذَلِكَ فِي الْهَلَاكِ إِحْسَانًا إِلَيْهِنَّ، وَنَظَرًا لَهُنَّ فِي أَمْرِ أَخْرَجَتْهُنَّ، وَكَمَا يَشْرَعُ اللَّهُ تَعَالَى لَخَلْقِهِ، فَكَذَلِكَ يُوفِيهِمْ أَجُورَهُمْ إِذَا تَابُوا إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ الْمُوصُوفُ، بِأَنَّهُ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ، وَمَدَارُ الشَّرْعِ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالْإِحْتِرَازِ فِي كُلِّ بَابٍ، عَنِ طَرْفِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، ثُمَّ جُمِعَ ذِكْرُ أَمْرِ النِّسَاءِ، مَعَ حُكْمِ الرِّجَالِ، عَلَى وَجْهِ يَعْمُ النِّسَاءُ أَيْضًا⁽¹⁾، فِي الْخُطَابِ بِالْمَثْنَى فِي الصَّفْحِ عَنْهُمَا حَالَةَ التَّوْبَةِ وَالْإِصْلَاحِ، وَهُوَ مِنْهَجٌ فِي الْعَدْلِ وَالتَّسَامُحِ مَكِينٌ.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿الْفَاحِشَةُ﴾: أَصْلُ الْكَلِمَةِ يَدُلُّ عَلَى قُبْحٍ فِي شَيْءٍ وَشَنَاعَةٍ فِيهِ، لِمَجَاوِزَتِهِ الْحَدَّ مَعَ تَكَرُّهِ لَهُ وَذَمِّ شَدِيدٍ، فَالْفُحْشُ وَالْفَحْشَاءُ وَالْفَاحِشَةُ، مَا عَظُمَ قُبْحُهُ، وَفُشَا اسْتِقْبَاحُهُ لَدَى النَّاسِ مِنَ الْأَفْعَالِ

(1) الرَّاغِبِيُّ، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ: 9/527.

والأقوال والأحوال، والفاحشة في الآية بمعنى الزنا؛ لأنه من أقبح الفواحش⁽¹⁾، "وكل شيء جاوز حدّه وقدره فهو فاحش". "وأفحش الرجل إذا قال قولاً فاحشاً، وقد فحش علينا فلان، وإنه لفحاش، وكل أمر لا يكون موافقاً للحق فهو فاحشة، وقال الله جلّ وعزّ: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَلَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾"، قيل: الفاحشة المبيّنة: أن تزني فتخرج للحدّ، وقيل: الفاحشة: خروجها من بيتها من غير إذن⁽²⁾، "قال ابن عرفة: كل ما نهى الله عنه، فهو فاحشة، وقيل الفاحشة ما يشتدّ قبحه من الذنوب، والفحش زيادة الشيء، على ما عهد من مقداره"⁽³⁾.

(2) ﴿فَاسْتَشْهِدُوا﴾: أصل الكلمة شهد، وتدُلُّ على حضور وعلم وإعلام، من ذلك الشّهادة، وشهد الشاهد عند الحاكم، أي: بين ما يعلمه وأظهره، واستشهدت فلاناً: إذا سألتَه إقامة شهادَة احتملها، و﴿فَاسْتَشْهِدُوا﴾ في الآية بمعنى اطلبوا الشّهادة عليهنّ⁽⁴⁾، و"الشّهادة: أن يخبر بما رأى، وأن يقرّ بما علم، ومجموع ما يدرك بالحسّ والشّهادة البينة (في القضاء)، هي أقوال الشهود أمام جهة قضائية"⁽⁵⁾، "وأصل الشّهادة الإخبار بما شاهده وشهده ... ومنه الحديث (يَأْتِي قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهِدُونَ)، هذا عامّ في الذي يؤدّي الشّهادة، قبل أن يطلبها صاحب الحقّ منه، فلا تقبل شهادته ولا يعمل بها"⁽⁶⁾.

(3) ﴿يَتَوَفَّهِنَّ﴾: أصل الكلمة وفّى يتوفّى⁽⁷⁾، وتدُلُّ الكلمة على نموّ أو زيادة يبلغ بها الشيء - أو يتأكّد - تمام قوامه، والتّوفية: التّتميم، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ﴾ [الإسراء: 35]، وتوفّى فلان حقّه من فلان، أي: أخذه تامّاً، وتوفية الشيء: بذله وافياً تامّاً، واستيفاءه: تناوله وافياً تامّاً، وسمّي الموت والنوم توفياً؛ لأنّهما استيفاء مدّة الحياة، وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: 11]، قال: هو من توفية العدد، تأويله أي يقبض أرواحكم أجمعين فلا ينقص واحد منكم⁽⁸⁾، و﴿يَتَوَفَّهِنَّ﴾ في

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزّاغب، الفردات: (فحش)، يُنظر: البغوي، معالم التنزيل: 1/582.

(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (فحش).

(3) عياض: مشارق الأنوار: 2/148.

(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (شهد).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (شهد).

(6) ابن الأثير، النهاية: (شهد).

(7) ابن الأثير، النهاية: (شهد).

(8) الرّبيدي، تاج العروس: (وفي).

الآية بمعنى يتقاضاهنَّ الموتُ، أي: يستوفي الموتُ آجالهنَّ⁽¹⁾، و"الأفصح أن يقال: تُوفِّي فلانٌ بالبناء للمجهول؛ لأنَّ الذي يتوفَّى الأنفس هو الله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ [الحج: 5]"⁽²⁾.

(4) ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: أصل الكلمة مَسَكَ، والمَسَكَ: المَوْضِعُ الذي يُمَسِكُ الماءَ، ومنه قولهم: سقاءٌ مَسِيكٌ، أي: يحفظُ الماءَ ويَحْبِسُهُ فلا يَنْضَحُ، فمعنى الكلمة يدلُّ على ضبط الشيء وحفظه أو حبسه حبسًا قويًّا في حَيْزٍ، فلا يتسبَّب، ومن الاستعمال المشهور أمسَكَ الشيءَ: قبضَهُ باليد، وباختلاف تعلُّق الحرف بالكلمة يتغيَّر المعنى، فيقال: تَمَسَّكَ بالشيءِ، واستمسَكَ به بمعنى اعتصَمَ به، وأمسَكَ عنه: كَفَّ عنه وامتنع، وأمسَكَ الشيءَ على نفسه: حَبَسَهُ، أي: استبقاهُ في حوزته⁽³⁾، كقوله تعالى ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: 37].

(5) ﴿الْبُيُوتِ﴾: جمع بيتٍ، هو المأوى والمأبى، ومَجْمَعُ الشَّمل الذي يلزَمُ منه السَّكن والاستقرار، ومنه يُقالُ لبُيتِ الشَّعر: بَيْتٌ على التَّشبيه، لأنَّه مَجْمَعُ الألفاظ والحروف والمعاني، ومنه قيل: بات، أي: في اللَّيل؛ لأنَّه زَمَنُ المأبى والسُّكون، والبيتُ هو الدَّارُ والمسكنُ الذي يستقرُّ فيه النَّاسُ، فهو مَوْضِعُ ما بهم⁽⁴⁾، وفي معنى قول الله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: 189]، قيل: إنَّه يعني النِّساء لا يؤتَيْن من أدبارهن، وقيل: هو مثلٌ مضروبٌ: أي اتوا البرَّ من وجهه، وفيه أقوال أخرى⁽⁵⁾.

(6) ﴿سَبِيلًا﴾: السَّبِيلُ: هو الطَّرِيقُ المُوَصِّلُ، سواء أكان سهلًا أم صعبًا، ويذكرُ ويؤنَّثُ، وهو بهذا المعنى في كلِّ القرآن، وإنَّما يختلفُ المرادُ به بحسب السِّياق، فيأتي بمعنى الطَّرِيق المادِّي، وبمعنى الطَّرِيق المعنويِّ مجازًا، كما في الآية، وابنُ السَّبيل هو المسافرُ، جُعِلَ ابنُ الطَّرِيقِ لِمَلازمته إِيَّاهُ⁽⁶⁾، والسَّبيل: يذكرُ ويؤنَّثُ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ [يوسف: 1]

(1) السَّمين، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وفى)، يُنظر: الزاوي، مفاتيح الغيب: 9/530.

(2) "قرئت الآية بالبناء للمعلوم، على توجيه أن: (توفى) بمعنى استوفى أجله، ومجيء: (تفعل) بمعنى: (استفعل)، منصوص عليه في كتب النحاة، وهو ما دعا مجمع اللغة المصري إلى قبول هذا التعبير"، ينظر: أحمد مختار عمر، معجم الضواب اللغوي: (وفى).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (مسك).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بيت).

(5) نشوان الجمبري، شمس العلوم: (الْبَيْت).

(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (سبل).

[108] فَأَنْتَ، وقال: (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) [الأعراف: 146]
فَذَكَرُ⁽¹⁾، قال ابن السكيت: "والجمع على التَّائِيثِ سُبُولٌ، كما قالوا:
عُنُوقٌ، وعلى التذكير سُبُلٌ وَسُبُلٌ"⁽²⁾.

(7) ﴿فَأَعْرِضُوا﴾: أصل الكلمة من العَرَضِ، وترجع معانيه المُنْتَوَعَة
إلى أصل واحدٍ، وهو العَرَضُ الَّذِي يُخَالِفُ الطُّولَ، وإذا عُدِّيَ الفعلُ بـ
(عن) أفادَ الانصرافَ عن الشَّيْءِ بالقلب، وتَخَطَّيْهِ بِالْبَدَنِ عَرَضًا،
فإذا قيل: أَعَرَضَ عَنِّي، فمعناه: وَلَّى مُبَدِّيًا عَرَضَهُ، ومنه الإعراضُ
في الآية بمعنى تَوَلَّى الشَّيْءِ عَرْضَكَ، أي جانبك، ولا تقبل عليه⁽³⁾،
وأعرض عنه: أي أضرب، قال الله تعالى: ﴿يُؤَسِّفُ أَعْرِضَ عَنْ هَذَا﴾
[يوسف: 29]، وأعرض بوجهه: أي مال، قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ
﴿٢٢﴾﴾ [آل عمران: 23]⁽⁴⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

جاءت هاتان الآيتان لبيان ما على النساء من واجب العِفَّةِ وصون
العِرْضِ عن الفحشاء، وأنه لا بدَّ من التَّثَبُّتِ بشهادة أربعة عدول
من المؤمنين، فإذا ثبت عليهنَّ ذلك بيقين، حبسن في البيوت عقوبة
لهنَّ، ومحافظة عليهنَّ من الانزلاق في مهاوي الخزي والرذيلة،
حتى يتوفاهنَّ الموت، أو يجعل الله لهنَّ مسلكا آخر للحياة الطاهرة
المستقيمة، بالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، والزَّوْاجِ الشَّرْعِيِّ المحصَّن، وأتبع
السِّيَاق ذلك بإيضاح العقوبة التي تسلَّط على الزَّانِي والزَّانِيَةِ غير
المحصنين، بالتَّأْدِيبِ والتَّوْبِيخِ والضَّرْبِ، إلَّا أن يتوبا عن غيَّهما،
ويقلعا عن الموبقات، فلا يعيَّران، ولا يذكران بما فات، لأنَّ الله
تَوَّابٌ رحيمٌ، يعفو للعاصين عن السيِّئات، وقد كان ذلك موجودا

عقوبة أصحاب
الفواحش
الزَّناة، وحكمة
الله في التَّدْرِجِ
في تشريع
العقوبات

(1) الجوهري، الصحاح: (سبل).

(2) الفيومي، للصباح: (سبل).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّانِبُ، المفردات: (عرض)، وابن الهائم، التَّبَيُّان، ص: 291.

(4) نشوان الجمري، شمس العلوم: (الإعراض).

في الحالتين في بداية الإسلام، ثم نسخه الله بالجلد للأبكار، والرجم للمحصنين والمحصنات⁽¹⁾، على الرأي القائل بأن الفاحشة المقصودة في الآيتين هي الزنا⁽²⁾، وهو الأظهر والأشهر.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ النِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ:

الْفَاحِشَةُ فِي
الرِّجَالِ عَظِيمَةٌ
مِنَ الْعِظَائِمِ،
وَهِيَ فِي النِّسَاءِ
أَعْظَمُ

قُدِّمَ ذِكْرُ مَنْ يَأْتِي الفاحشة من النساء في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ على من يأتيها من الرجال في قوله تعالى بعد: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَكَادُوهُمَا﴾، لِنُكْتَتَيْنِ: أولاًهما: أَنَّ الفسادَ في النساءِ أعظمُ والفِتنَةَ بهنَّ أكبرُ، ولذا قُدِّمَ الزَّانِيَةُ عَلَى الزَّانِي في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [التَّوْر: 2].

والأخرى: أَنَّ فِي إتيانِ النساءِ الفاحشةَ إدخالاً على الرجالِ مَنْ يَرِثُهُمْ مِنْ غَيْرٍ أَنْ يَكُونُوا مُسْتَحَقِّينَ، ولذا جاءت هذه الآياتُ بعد آياتِ الميراثِ. ولهذا قُدِّمَ ذِكْرُهُنَّ اهتماً بِزَجْرِهِنَّ⁽³⁾.

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْجَمْعِ ﴿وَالَّتِي﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ﴾: ﴿وَالَّتِي﴾ من قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ﴾ جمعٌ لـ (التي)، وهو اسمٌ موصولٌ، وأوثر لفظُ الجمعِ ﴿وَالَّتِي﴾ دون المفرد بأن يَرَدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (والتي تأتي الفاحشة من نسائك فاستشهدوا عليها)؛ للإيماءِ إلى كَثَرَتِهِنَّ، وكثرة الفسادِ الصَّادِرِ مِنْهُنَّ⁽⁴⁾.

كَثْرَةُ الْفَسَادِ
الصَّادِرِ مِنَ
النِّسَاءِ

(1) الرَّحِيلِي، التفسير المنير: 4/289.

(2) في الآيتين رأيان: أحدهما للجمهور، يقول بأن الفاحشة هي الزنا، في الحصنات المتزوجات من النساء، ثم في الأبكار، والآيتان منسوختان بما ورد في سورة التَّوْر من الرِّجْم للفتنة الأولى، والجلد للفتنة الثانية، ورد عن مجاهد: أَنَّ الآية الأولى في السَّحَابِ بَيْنَ النِّسَاءِ، والثانية في البُؤَاظِ بَيْنَ الرِّجَالِ، وعلى الرَّأْيِ الثَّانِي، فلا نسخ "، ينظر: الحجازي، التفسير الواضح: 3/348.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 5/216.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 5/216.

**دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِفِعْلِ الْإِثْيَانِ «يَأْتِينَ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَالَّتِي يَأْتِينَ
الْفَحِشَةَ»:**

جاء التعبير بفعل الإتيان في قول الله تعالى: «وَالَّتِي يَأْتِينَ
الْفَحِشَةَ»، لأنَّ الإقدام على الفاحشة - وهي الزنا - لما كان لا يقع
إلا بمقدّماتٍ مُمهّدةٍ له، فكانَ فاعلُ الفاحشةِ هُوَ الَّذِي يذهبُ إليها
بِنَفْسِهِ، ويختارُها بطبيعِهِ⁽¹⁾، وليست هي التي تأتيه وتعرضُ له.

كما أنَّ التعبيرَ بالإتيان يُفيدُ أنَّه هو الَّذي اختارَ العقوبةَ لاختياره
الفاحشةَ، لأنَّ المُقَدِّمَ على جريمةٍ تترتَّبُ عليها عقوبةٌ، هو في
الحقيقة مُقَدِّمٌ على العقوبةِ نفسِها.

بَلَاغَةُ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَحِشَةَ»:

في قولِ الله تعالى: «وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَحِشَةَ» مجازٌ مرسلٌ بعلاقةِ
السَّبَبِيَّةِ؛ إذْ أُطْلِقَ السَّبَبُ وهو الإتيانُ، وأُرِيدَ المسبَّبُ وهو الفعلُ،
ونُكِّتَتْهُ؛ للتنبيةِ إلى أنَّ السَّيْرَ على طريقِ الفاحشةِ مُوصِلٌ إليها.

نُكْتَةُ الْإِسْتِعَارَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَحِشَةَ»:

يَحْتَمِلُ أن يكون قوله تعالى: «وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَحِشَةَ» من بابِ
الاستعارة؛ وذلك أنَّ أصلَ الإتيانِ: المَجِيءُ إلى شيءٍ، يُقَالُ: أَتَيْتُ
فلاناً، أي: جِئْتُه، فإذا تعلقَ الإتيانُ بِالْحَدَثِ: دَلَّ على فِعْلِ الشَّيْءِ
وَتَحْصِيلِهِ، كقولهم: أَتَيْتُ العِمْرَةَ، أي: فعلتها، فاستُعيرَ هنا الإتيانُ
لفعل شيءٍ؛ إشعاراً بأنَّ الأمرَ مقصودٌ وقد سبقهُ عَزَمٌ على الفِعْلِ؛
لأنَّ فاعلَ شيءٍ عن قَصْدٍ يُشَبِّه السَّائِرَ إلى مكانٍ حَتَّى يَصِلَهُ⁽²⁾، ففي
قوله: «وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَحِشَةَ» استعارةٌ تصرّحيةٌ تبعيَّةٌ، وفي ذلك
تصويرٌ للمعاني العقليةِ وإبرازٌ لها في صورةِ المحسوسِ، وذلك أدعى
لإدراكِ حقيقتها، والتنفيرِ مِنْهَا.

الْمُقَدِّمُ عَلَى
الْمُحَرَّمَاتِ مُقَدِّمٌ
عَلَى الْعُقُوبَاتِ
نَفْسِهَا

السَّيْرُ عَلَى
طَرِيقِ الْفَاحِشَةِ
مُوصِلٌ إِلَيْهَا

إِبْرَازُ الْمَعَانِي
الْعَقْلِيَّةِ فِي
قَالَِبِ الصُّورِ
الْمَحْسُوسَةِ
أَدْعَى لِإِدْرَاكِ
حَقَائِقِهَا

(1) الراغبي، تفسير الراغبي: 4/205.

(2) ابنُ عاشور، التَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 4/270.

دَلَالَةُ الْكِنَايَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ﴾:

تَأْدِيبُ اللَّهِ
تَعَالَى عِبَادَهُ
لِإِتِّبَاءِ الْأَلْفَافِ
الَّتِي يُعَبِّرُ بِهَا
عَنِ الْمَعَانِي

يعبرُ الله ﷻ عن المعاني التي لا تألفها النفس الكريمةُ بعباراتٍ تَسْتُرُهَا، فتكون الكناية بدلاً مِنَ التَّصْرِيحِ، وهذا مِنْ تَأْدِيبِ اللَّهِ تَعَالَى لعباده في التَّعْبِيرِ⁽¹⁾.

واللَّامُ فِي «الْفَاحِشَةِ» لِلْعَهْدِ الْعِلْمِيِّ⁽²⁾، وهو الواردُ فِي قولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾⁽³⁾ [الإسراء: 32]، فتكونُ الفاحشةُ كنايةً عن الزُّنَا، وهو إجماعُ المفسرين⁽³⁾، والكنايةُ هنا أبلغُ مِنَ التَّصْرِيحِ؛ لما فِي التَّصْرِيحِ مِنَ السُّوءِ، والمقامُ مقامُ سِتْرٍ، كما أنَّ لفظَ «الْفَاحِشَةِ» يُوحي بالقبحِ والشَّناعةِ، فتأثيره النَّفْسِيُّ فِي الاجْتِنَابِ أَكْثَرُ مِنْ لفظِ الزُّنَا.

دَلَالَةُ الْإِضَافَةِ فِي «تَسَائِكُمْ» مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾:

ازْتِمَاتِ الْكِبَائِرِ
غَيْرُ مُوجِبٍ
لِلْخُرُوجِ مِنَ
الْإِسْلَامِ

جاءتِ الْإِضَافَةُ فِي قولِهِ: «تَسَائِكُمْ» لِمَعْنَى التَّخْصِيسِ، بِمَعْنَى إِضَافَةِ نِسْبَةِ الَّذِينَ فَعَلُوا الْفَاحِشَةَ إِلَى خُصُوصِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِلإِعْلَامِ بِأَنَّ الْحُكْمَ يَتَعَلَّقُ بِالنِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ دُونَ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَةَ قَدْ تَكُونُ مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِنَسَبٍ، وَلَا يَلْحَقُهَا هَذَا الْحُكْمُ، وَلَمَّا كَانَ «مِنْ نِسَائِكُمْ» مُتَعَلِّقًا بِمَحْذُوفٍ هُوَ حَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ فِي «يَأْتِيَنَّ»، وَالْمَعْنَى: "يَفْعَلْنَهَا حَالٌ كَوْنِهِنَّ مِنْ نِسَائِكُمْ"⁽⁴⁾؛ أَشْعَرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا مِنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ بِهَذَا الْفِعْلِ، كَمَا أَشَارَ إِلَى وَجُوبِ الْمَحَافَظَةِ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ ارْتَكَبُوا هَذَا الْفِعْلَ، فَهُمْ نِسَاؤُكُمْ.

خُرُوجُ ضَمَائِرِ الْخِطَابِ عَنْ أَصْلِهَا فِي إِزَادَةِ الْمُعَيَّنِ:

جاءَ الْخِطَابُ عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ، فَإِنَّ ضَمِيرَ الْخِطَابِ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3/1609.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/21.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 9/528.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/21، ورضا، تفسير النار: 4/356.

خَطَابُ الشَّرْعِ
يَعْنِي جَمِيعَ
الْعِبَادِ لَا
خُصُوصَ
الْحَاضِرِينَ وَقَتِ
النُّزُولِ

يَكُونُ فِي الْأَصْلِ لِمُعَيَّنٍ، وَقَدْ تُرِكَ هُنَا إِرَادَةُ الْمُعَيَّنِ - فِي قَوْلِهِ: ﴿يَسَائِكُمْ﴾ وَ﴿مِنْكُمْ﴾، قَصْدًا لِمَعْنَى الْحَمْلِ عَلَى عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ⁽¹⁾، وَلِتَعْمِيمِ الْمُخَاطَبِينَ فِي كُلِّ الْأَزْمَانِ، وَنُكْتَةً التَّعْبِيرِ بِالْخُطَابِ: مَا فِي الْخُطَابِ مِنْ إِقْبَالٍ لِلْمَدْعُوِّ قَصْدًا إِلَى الْمُبَادَرَةِ لَامْتِثَالِ الْأَوَامِرِ وَالْإِنْتِهَاءِ عَنِ الزَّوَاجِرِ.

دَلَالَةُ الْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا﴾:

جَاءَتْ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾^ط لِلدَّلَالَةِ عَلَى سَبَبِيَّةِ مَا فِي حَيْزِ الصَّلَةِ لِلْحُكْمِ⁽²⁾، فَيَكُونُ سَبَبُ طَلِبِ الْإِسْتِشْهَادِ هُوَ اتِّيَانُ الْفَاحِشَةِ، وَلَمَّا كَانَتْ الْفَاءُ لِلتَّرْتِيبِ وَالتَّعْقِيبِ فِي الْأَصْلِ؛ دَلَّتْ هَهُنَا عَلَى طَلِبِ الْمُبَادَرَةِ مِنْ غَيْرِ تَرَاحٍ إِلَى طَلِبِ شَهَادَةِ أَرْبَعَةِ رِجَالٍ عَدُولٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ كَيْ لَا يَكْثُرَ اللَّغَطُ وَالْكَلَامُ السَّيِّئُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحَسْمًا لِلْمَوْضُوعِ.

سَبَبُ حَذْفِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾^ط فِيهِ حَذْفٌ لِلْمَعْدُودِ - وَهُوَ مُضَافٌ إِلَيْهِ - ، وَالتَّقْدِيرُ: أَرْبَعَةَ رِجَالٍ مِنْكُمْ؛ لِأَنَّ الْعِدَدَ مُؤَنَّثٌ، فَتَجِبُ الْمَخَالَفَةُ، وَفِي هَذَا الْحَذْفِ إِشَارَةٌ إِلَى مَنَافَةِ ذِكْرِ الرُّجُولَةِ فِي سِيَاقِ فِعْلِ الْفَاحِشَةِ؛ تَكْرِيمًا لِلرُّجُولَةِ، كَمَا أَنَّ مَجِيءَ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ لَجَمَاعَةِ الذَّكَورِ فِي ﴿مِنْكُمْ﴾^ط إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ يَكُونُونَ مِنَ الرِّجَالِ.

دَلَالَةُ التَّقْدِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَلْحِشَةَ مِنْ يَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾:
وَرَدَ الْأَسْلُوبُ الشَّرْطِيُّ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَلْحِشَةَ مِنْ يَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾

الْمُبَادَرَةُ إِلَى
الشَّهَادَةِ حَسْمًا
لِللَّغَطِ بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ

مَنَافَةُ الرُّجُولَةِ
لِذِكْرِ الْفَاحِشَةِ
مَعَهَا

(1) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 4/270.

(2) أَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 2/154.

أَهْمِيَّةُ الشَّهَادَةِ
فِي صِيَانَةِ
الْأَعْرَاضِ مِنَ
الطَّغْنِ بِغَيْرِ
مُوجِبٍ

فِي الْبُيُوتِ»، وهو من روائع أساليب نظم الشرط في القرآن الكريم؛
فالفاء في قوله: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا﴾ هِيَ الْفَاءُ الْمُشْبِهَةُ فَاءَ الْجَوَابِ الدَّالَّةُ
عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى تَقْدِيرِ وَجُودِ شَرْطٍ وَجَوَابٍ، وَالتَّقْدِيرُ: (إِنْ يَأْتِيَنَّ
الْفَاحِشَةُ؛ فَاسْتَشْهِدُوا).

وَدَلَّتِ الْمُبَالَغَةُ فِي ﴿فَاسْتَشْهِدُوا﴾ دُونَ (فَأَشْهَدُوا) عَلَى التَّقْصِي
وَالْتَثْبُتِ مِنْ وَقُوعِ الْفَاحِشَةِ.

وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ شَهِدُوا﴾ تَفْرِيعِيَّةٌ فَهِيَ مُضْمَنَةٌ مَعْنَى
الشَّرْطِ؛ لِأَنَّ الِاسْتِشْهَادَ الْمُتَقَدِّمَ سَبَبٌ لِلشَّهَادَةِ، وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ:
﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ جَزَائِيَّةٌ⁽¹⁾، فَلَمَّا كَانَ الْجَزَاءُ مَبْنِيًّا عَلَى الشَّرْطِ
الْمُقَدَّرِ وَمَا تَفَرَّعَ مِنْهُ آخَرُهُ، فَصَارَ فِي الصُّورَةِ جَزَاءٌ ﴿إِنْ شَهِدُوا﴾،
وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ جَزَاءٌ مَبْنِيٌّ عَلَى مَجْمُوعِ الْجُمْلَتَيْنِ قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى (إِنْ
يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ وَشَهِدُوا عَلَيْهِنَّ بَعْدَ طَلِبِ الشَّهَادَةِ؛ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي
الْبُيُوتِ)، وَلَوْلَا قَصْدُ الْإِهْتِمَامِ بِإِعْدَادِ الشَّهَادَةِ قَبْلَ الْحُكْمِ بِالْحَبْسِ
فِي الْبُيُوتِ لَقِيلَ: وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَمْسِكُوهُنَّ
فِي الْبُيُوتِ إِنْ شَهِدَ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ؛ فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ لِإِفَادَةِ أَهْمِيَّةِ
الشَّهَادَةِ قَبْلَ الْحُكْمِ عَلَيْهِنَّ صِيَانَةَ لِلطَّغْنِ بِغَيْرِ مُوجِبٍ، وَحِفْظًا
لِأَعْرَاضِ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ.

دِلَالَةُ تَغْلِيْقِ الْإِمْسَاكِ فِي الْبُيُوتِ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ:

جَاءَ وَجُوبُ الْإِمْسَاكِ فِي الْبُيُوتِ بِمَا ذُكِرَ فِي حَيْزِ الشَّرْطِ فِي
قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا
عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ إِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾؛ لِأَنَّ إِتْيَانَ
النِّسَاءِ الْفَاحِشَةِ هُوَ الَّذِي سَبَّبَ إِمْسَاكَهُنَّ فِي الْبُيُوتِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ
بَيَّنَّ نَظْمُ الْكَلَامِ عَلَى جَعْلِ ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ﴾ هُوَ الْخَبَرُ، لَكِنَّهُ

النَّهْيُ عَنْ
إِمْسَاكِ النِّسَاءِ
فِي الْبُيُوتِ بِخُصِّ
التَّحْكُمِ

(1) ابن عاشور، التَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 4/277.

خَبَرٌ صُورِيٌّ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْخَبَرَ هُوَ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾، لَكِنَّهُ جِيءَ بِهِ جَوَابًا لَشَرْطٍ هُوَ مُتَفَرِّعٌ عَلَى ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾⁽¹⁾، فَالشَّرْطُ هُوَ مَجْمُوعُ إِتْيَانِ الْفَاحِشَةِ وَالشَّهَادَةِ عَلَيْهِنَّ، وَجَزَاؤُهُ: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾، وَتَعْلِيقُ الْجَوَابِ بِوُجُودِ الشَّرْطِ قَيْدٌ لَهُ، "وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ إِمْسَاكِهِنَّ فِي الْبُيُوتِ، وَمَنْعِهِنَّ الْخُرُوجَ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْحَالَةِ لِجُرْدِ الْغَيْرَةِ، أَوْ مَحْضِ التَّحْكُمِ مِنَ الرِّجَالِ، وَاتِّبَاعِهِمْ لِأَهْوَائِهِمْ فِي ذَلِكَ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُهُمْ"⁽²⁾.

نُكْتَةٌ إِنْبَارِ التَّعْبِيرِ بِـ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ دُونَ (فَاخْبِسُوهُنَّ):

جاء التعبيرُ بِالْإِمْسَاكِ دُونَ الْحَبْسِ الَّذِي عَبَّرَ بِهِ الْمَفْسَّرُونَ⁽³⁾؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ بَقَاءَهُنَّ فِي الْبُيُوتِ عَلَى مَعْنَى الْحِفْظِ لَهُنَّ وَالرَّعَايَةِ بِالتَّهْذِيبِ وَالْعُطْفِ، فَالْإِمْسَاكُ هُوَ الْحِفْظُ فِي مَوْضِعٍ مُحَرَّرٍ، وَتَقْيِيدُ الْإِمْسَاكِ بِأَنْ يَكُونَ فِي الْبُيُوتِ؛ لِأَنَّ فِي دَلَالَةِ الْبَيْتِ مِنْ مَعْنَى السَّكَنِ وَالِاسْتِقْرَارِ النَّفْسِيِّ، وَفِي ذَلِكَ صِيَانَةٌ لَهُنَّ عَنْ مِثْلِ مَا جَرَى عَلَيْهِنَّ بِسَبَبِ الْخُرُوجِ مِنَ الْبُيُوتِ وَالتَّعَرُّضِ لِلرِّجَالِ⁽⁴⁾، كَمَا أَنَّ الْبُيُوتَ لَيْسَتْ مَكَانًا لِلْحَبْسِ، فَلَوْ عَبَّرَ بِالْحَبْسِ لَفَاتَ مَعْنَى الْحِفْظِ وَالرَّعَايَةِ الْمَقْصُودِينَ مِنَ الْإِمْسَاكِ فِي الْبُيُوتِ، وَتَعْبِيرٌ مِنْ عَبَّرَ بِالْحَبْسِ تَفْسِيرًا لِلْفُظِّ (الْإِمْسَاكِ) إِنَّهَا هِيَ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْإِمْسَاكَ فِي الْبُيُوتِ سِجْنٌ لَهُنَّ، فَأُخِذَ الْحَبْسُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى.

الْإِمْسَاكُ فِي
الْبُيُوتِ يُرَادُّ بِهِ
الْحِفْظُ وَالرَّعَايَةُ
وَالْتَّهْذِيبُ

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِـ ﴿حَتَّى﴾ دُونَ (إِلَى) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعُنَّ الْمَوْتَ﴾:

أَوْثَرَ التَّعْبِيرُ بِـ ﴿حَتَّى﴾ الَّتِي لَانْتِهَاءِ الْغَايَةِ وَإِفَادَةِ التَّنْذِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعُنَّ الْمَوْتَ﴾؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ

(1) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 4/277.

(2) رِضَا، تَفْسِيرُ الْمَنَارِ: 4/357، وَالرَّاعِي، تَفْسِيرُ الرَّاغِي: 4/206.

(3) ابْنُ جَرِيرٍ، جَامِعُ الْبَيَانِ: 8/73، وَالزَّازَنِيُّ، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ: 9/528.

(4) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 1/487، وَأَبُو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ: 3/1610.

التَّذْرِيعُ فِي
اسْتِيفَاءِ الْمَوْتِ:
عُقُوبَةُ فَوْقَ
عُقُوبَةِ الْإِمْسَاكِ
فِي الْبُيُوتِ

الْمُتَعَدِّي بِهَا الْغَرَضُ فِيهِ أَنْ يَنْقُضِيَ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهِ إِلَى غَايَتِهِ⁽¹⁾، وَ (إِلَى) لَيْسَتْ كَذَلِكَ؛ فَأَفَادَ التَّعْبِيرُ بِـ ﴿حَتَّى﴾ أَنَّ انْقِضَاءَ الْإِمْسَاكِ فِي الْبُيُوتِ يَكُونُ شَيْئًا فَشَيْئًا تَدْرِيجًا حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُنَّ سَبِيلًا؛ لِلإِشْعَارِ بِصُعُوبَةِ انْقِضَاءِ مَدَّةِ الْحَيَاةِ وَاسْتِيفَائِهَا شَيْئًا فَشَيْئًا بِانْتِظَارِ الْمَوْتِ أَوْ الْحُكْمِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، "وَالْعَرَبُ تَتَخَيَّلُ الْعُمَرَ مُجَزَّأً، فَالْأَيَّامُ وَالزَّمَانُ وَالْمَوْتُ يَسْتَخْلِصُهُ مِنْ صَاحِبِهِ مُنْجَمًا إِلَى أَنْ تَتَوَفَّاهُ"⁽²⁾؛ لِيَكُونَ هَذَا التَّذْرِيعُ فِي اسْتِيفَاءِ الْمَوْتِ عَقُوبَةً أُخْرَى تُضَافُ إِلَى عَقُوبَةِ الْإِمْسَاكِ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُنَّ طَرِيقًا وَاضِحًا لِلْخُرُوجِ مِنْ ذَلِكَ الْإِمْسَاكِ بِمَا يَحْكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ لَهُنَّ.

دِلَالَةُ الْمَجَازِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾:

يَصِحُّ أَنْ يُحْمَلَ مَعْنَى: ﴿يَتَوَفَّاهُنَّ﴾ عَلَى الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ بِمَعْنَى الْإِسْتِيفَاءِ، وَالْمَعْنَى (حَتَّى يَسْتَوْفِيَ أَرْوَاحَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَسْتَوْفِيَ أَجَالَهُنَّ الْمَوْتُ)، وَيَكُونُ اسْتِعَارَةً مَكْنِيَّةً تَبْعِيَّةً؛ إِذْ شُبَّهَ الْمَوْتُ بِالشَّخْصِ الَّذِي يَأْخُذُ حَقَّهُ كَامِلًا⁽³⁾، ثُمَّ اشْتَقَّ مِنْهُ الْفِعْلُ (يَتَوَفَّى)؛ لِإِفَادَةِ اسْتِيفَاءِ مَدَّةِ حَيَاتِهِنَّ بِالْمَوْتِ.

وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَاهُ الْمَعْهُودُ، وَهُوَ الْمَوْتُ، وَلَا بَدَّ حِينَئِذٍ مِنْ تَقْدِيرٍ؛ إِذْ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى (حَتَّى يُمَيِّتَهُنَّ الْمَوْتُ)، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: (حَتَّى تَتَوَفَّاهُنَّ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ)؛ لِيَكُونَ مَجَازًا مِنْ إِسْنَادِ مَا لِلْفَاعِلِ الْحَقِيقِيِّ وَهُوَ الْمَلَائِكَةُ إِلَى أَثَرِ فَعْلِهِ وَهُوَ الْمَوْتُ⁽⁴⁾، فَاسْتَدَّ التَّوْفِي إِلَى الْمَوْتِ، وَأَنَّمَا هُوَ إِلَى مَلَائِكَةِ الْمَوْتِ، وَجَاءَ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَجَازِ؛ لِقَصْدِ التَّخْوِيفِ وَالتَّرْهِيْبِ بِاسْتِشْعَارِ أَنَّ الْمَوْتَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاهُمْ.

(1) المرادِّي، الجنى الذاني، ص: 544.

(2) ابن عاشور، التَّخْرِيبُ وَالتَّنْوِيرُ: 4/271.

(3) الطَّبِيي، فتوح الغيب: 4/477.

(4) الرَّمُخْشَرِي، الكُشَافُ: 1/488، وَالْأَلُوسِي، روح اللعاني: 2/444.

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْزُورِ عَلَى الْمَفْعُولِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾:

قَدْ مَ ﴿لَهُنَّ﴾ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ ﴿سَبِيلًا﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾؛ اِهْتِمَامًا بِأَمْرِ أَوْلَئِكَ النِّسَاءِ، وَفِي هَذَا التَّقْدِيمِ مِرَاعَاةٌ لِلتَّنَاسُبِ الصَّوْتِيِّ الَّذِي عَلَيْهِ أَوَاخِرُ الْآيَاتِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؛ إِذْ لَوْ وَرَدَ النَّظْمُ الْقِرَائِيُّ: (أَوْ يَجْعَلُ اللَّهُ سَبِيلًا لَهُنَّ)؛ لَفَاتَ هَذَا التَّنَاسُبُ.

دِلَالَةُ الْإِسْتِعَارَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾:

جَاءَ التَّعْبِيرُ عَنِ الْحُكْمِ الْمَشْتَمِلِ عَلَى الْعُقُوبَةِ بِالسَّبِيلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، وَالسَّبِيلُ فِي الْأَصْلِ: الطَّرِيقُ الْجَادَّةُ السَّالِكَةُ الْوَاضِحَةُ، فَإِطْلَاقُهُ عَلَى الْحُكْمِ اسْتِعَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ؛ حَيْثُ شُبِّهَ الْحُكْمُ بِالسَّبِيلِ بِجَامِعِ الْوُضُوحِ وَالْبَيَانِ فِي كُلِّ، فَحُذِفَ الْمَشَبَّهُ وَصُرِّحَ بِالْمَشَبِّهِ بِهِ⁽¹⁾، وَفِي هَذَا إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْحُكْمَ الْمُرْتَقَبَ ظَاهِرٌ بَيْنَ لَا لَبْسَ فِيهِ.

وهذا السَّبِيلُ غَيْرُ الْإِمْسَاكِ فِي الْبُيُوتِ؛ لِدِلَالَةِ ﴿أَوْ﴾ الَّتِي تَقْتَضِي الْمَغَايِرَةَ بَيْنَ الْمَعْطُوفَيْنِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ ﴿أَوْ﴾ بِمَعْنَى: إِلَى أَنْ، وَالْمَعْنَى: فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ إِلَى أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا⁽²⁾، وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ فَإِنَّ الْكَلَامَ مُقْتَضٍ لِلْمَغَايِرَةِ بَيْنَ الْحُكْمَيْنِ.

وَلَيْسَ فِي كَلِمَةِ ﴿سَبِيلًا﴾ دِلَالَةٌ عَلَى كَوْنِهِ أَخْفَ مِنْ الْإِمْسَاكِ فِي الْبُيُوتِ، كَمَا أَنَّ تَنْكِيرَ ﴿سَبِيلًا﴾ دَالٌّ عَلَى الْإِبْهَامِ الْمُقْتَضِي لِلْإِجْمَالِ⁽³⁾؛ إِمْعَانًا فِي التَّخْوِيفِ وَالتَّرْهِيْبِ، لئَلَّا يَعُودُوا إِلَى الْفَاحِشَةِ، وَلَا سِيَّمَا مَعَ تَعْلِيْقِ جَعَلِ السَّبِيلِ عَلَى وَصْفِ الْأُلُوهِيَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى عُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَفَرُّدِهِ بِالتَّشْرِيعِ.

تَشْرِيعُ الْأَحْكَامِ
إِنَّمَا هُوَ لِتَحْقِيقِ
مَصَالِحِ الْعِبَادِ

بَيَانُ اللَّهِ تَعَالَى
لِلْأَحْكَامِ: بَيَانٌ لَا
لَبْسَ فِيهِ

(1) أَبُو السَّعُود، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 2/155، وَابْنُ عَاشُور، التَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 4/271.

(2) ابْنُ عَرَفَةَ، تَفْسِيرُ ابْنِ عَرَفَةَ: 2/15.

(3) الرَّاعِي، تَفْسِيرُ الرَّاعِي: 4/206.

نَكْتَهُ التَّعْبِيرِ بِالتَّثْنِيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذَانِ﴾ بَعْدَ التَّعْبِيرِ بِالْجَمْعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ﴾:

مِنْ أَصَالِبِ
الْكَلَامِ الْبَلِيغِ:
التَّقْنُنُ فِي التَّعْبِيرِ
وَالْتَصَرُّفُ فِيهِ
مَعَ أَمْنِ اللَّبْسِ

وَرَدَ التَّعْبِيرُ بِالْمَثْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَزَادُوهُمَا﴾ بَعْدَ وُرُودِ التَّعْبِيرِ بِالْجَمْعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَجِشَةَ﴾؛ تَفَنَّنَا فِي الْأَسْلُوبِ وَتَنَوَّعًا لَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَعَهُودٌ فِي الْكَلَامِ الْبَلِيغِ مَعَ الْأَمْنِ مِنَ الْإِشْتِبَاهِ⁽¹⁾.

والتَّعْمِيمُ حَاصِلٌ بِالْأَسْلُوبَيْنِ مَعًا؛ فَأَمَّا عَمُومُهُ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ فَظَاهِرٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَجِشَةَ﴾، وَأَمَّا عَمُومُهُ فِي ضَمِيرِ التَّثْنِيَةِ ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَزَادُوهُمَا﴾؛ فَلَأَنَّ الْمُرَادَ صِنْفَانِ مِنَ الرِّجَالِ، وَهُمْ الْمُحْصَنُونَ وَغَيْرُ الْمُحْصَنِينَ، وَإِنَّمَا أُشْعِرَ بِالصَّنْفَيْنِ؛ تَحَرُّرًا مِنَ التَّمَاسِ الْعَذَرِ لِغَيْرِ الْمُحْصَنِينَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذَانِ﴾ مُرَادًا بِهِ: صِنْفُ الرِّجَالِ وَصِنْفُ النِّسَاءِ، وَعُبِّرَ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ الدَّالِّ عَلَى الْمَثْنَى الْمَذْكُورِ مِنْ بَابِ التَّغْلِيْبِ، "فَعَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ تَكُونُ الْآيَةُ قَدْ جَعَلَتْ لِلنِّسَاءِ عَقُوبَةً وَاحِدَةً عَلَى الزَّنا، وَهِيَ عَقُوبَةُ الْحَبْسِ فِي الْبُيُوتِ، وَلِلرِّجَالِ عَقُوبَةٌ عَلَى الزَّنا، هِيَ الْأَذَى، سَوَاءٌ أَكَانُوا مُحْصَنِينَ بِزَوَاجَاتٍ أَمْ غَيْرَ مُحْصَنِينَ، وَهُمْ الْأَعْزَبُونَ، وَعَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي تَكُونُ قَدْ جَعَلَتْ لِلنِّسَاءِ عَقُوبَتَيْنِ: عَقُوبَةً خَاصَّةً بِهِنَّ وَهِيَ الْحَبْسُ، وَعَقُوبَةً لَهُنَّ كَعَقُوبَةِ الرِّجَالِ وَهِيَ الْأَذَى، فَيَكُونُ الْحَبْسُ لَهُنَّ مَعَ عَقُوبَةِ الْأَذَى، وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ يُسْتَفَادُ اسْتَوَاءُ الْمُحْصَنِ وَغَيْرِ الْمُحْصَنِ مِنَ الصَّنْفَيْنِ فِي كِلْتَا الْعَقُوبَتَيْنِ، فَأَمَّا الرِّجَالُ فَبِدِلَالَةِ تَثْنِيَةِ اسْمِ الْمَوْصُولِ الْمُرَادِ بِهَا صِنْفَانِ اثْنَانِ، وَأَمَّا النِّسَاءُ فَبِدِلَالَةِ عَمُومِ صِيغَةِ ﴿نِسَائِكُمْ﴾"⁽²⁾.

(1) رضا، تفسير المنار: 4/360.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/272.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ عَنِ الْفَاحِشَةِ بِالْإِسْمِ الْمُضْمَرِ دُونَ الْإِسْمِ الظَّاهِرِ:

جاء التعبير عن الفاحشة بالاسم المضمّر في قوله: ﴿يَأْتِيَنَهَا﴾، دون الاسم الظاهر؛ إذ لم يرد: واللذان يأتيان الفاحشة، وكان التصريح باسم الفاحشة أقرب لمقتضى الظاهر؛ لطول الفصل بكلام كثير، إلا أنّ التعبير بالضمير أنسب؛ لما في ذكر الفاحشة من القبح، فلا تذكّر إلا في موضع الحاجة، ولما كان المقام مقام ستر، وهو ما ينافي الظهور؛ اكتفى بالضمير، وكُنِيَ به عن الاسم الظاهر.

دَلَالَةُ الْفَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَذُوهُمَا﴾:

أفادت الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَذُوهُمَا﴾ وجوب إيقاع الأذية عليهما على التعقيب من غير مهلة؛ تعجيلاً للزجر، ولئلا لا يضعف الردع عند التراخي في العقوبة، وأفادت الفاء تضمّن الجملة معنى الشرط، فالإذاية مفرّعة على إتيانهما الفاحشة.

سِرُّ حَذْفِ مُتَعَلِّقِ الْإِيذَاءِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَذُوهُمَا﴾:

لم تقتيد الأذية بنوع معين؛ إذ لم يرد النظم القرآني؛ فأذوهما بالضرب، أو بالقول، أو بأي نوع مخصوص من أنواع الأذية؛ وذلك لقصد إفادة الإطلاق المقتضي عموم أنواع الأذية؛ لاستحقاقهما ذلك بسبب إتيانهما جرماً من أقبح الجرائم شؤماً على المجتمعات.

دَلَالَةُ الْفَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَابَا﴾:

أفادت الفاء العاطفة بين الجمل ترتب المسبب على ما تقدّمها من السبب، فقد رتب توقع توبتهما عمّا فعلا من الفاحشة وإصلاحهما لما وقع فيه من الفساد على ما لقيّا من زواجر الأذية وقوارع التوبيخ، فكان الإيذاء سبباً للتوبة⁽¹⁾، وفي هذا إعلام بأنّ تشريع العقوبات لا يراد به مجرد الإيذاء العاري عمّا يرجى من ورائها.

تَغْلِيْمُ اللَّهِ
تَعَالَى عِبَادَهُ
الْأَدَبَ فِي
الْكَلَامِ؛ وَذَلِكَ
بِشُّلُوكِ مَسَلِكِ
الْكِتَابَةِ عَمَّا
يُسْتَقْبَحُ ذِكْرُهُ

تَعْجِيلُ الْعُقُوبَةِ
عَلَى الْجَرَائِمِ
أَفْضَى فِي الزَّجْرِ
عَنْهَا

الزَّيْنُ مِنْ أَقْبَحِ
الْجَرَائِمِ شَوْماً
عَلَى الْمُجْتَمَعَاتِ

عُقُوبَةُ آتِي
الْفَاحِشَةِ قَدْ
يَكُونُ سَبَبًا
لِتُوبَتِهِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/155، والقونوي، حاشية القونوي على تفسير البضاوي: 7/74.

سِرُّ حَذْفِ الْمُتَعَلِّقِ مِنْ ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا﴾:

إِذَا كَانَ ضَرَرُ
لِلْغَصِيَّةِ
مُتَعَدِّيًا؛
وَجَبَّ عَلَى
الْعَامِي إِصْلَاحُ
مَا أَفْسَدَهُ
بِمَعْصِيَتِهِ

حُذِفَ مِنَ الْفِعْلِ ﴿تَابَا﴾ مُتَعَلِّقَاهُ، أَحَدُهُمَا: (إِلَى اللَّهِ)،
وَالْتَّقْدِيرُ: فَإِنْ تَابَا إِلَى اللَّهِ؛ وَحُذِفَ ذَلِكَ لِلْعِلْمِ بِهِ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنْ
جَمَلَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي لَا يَتَوَجَّهُ الْعَبْدُ بِهَا إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى، وَالْآخَرُ: الْأَمْرُ الَّذِي تَبَيَّنَ مِنْهُ، وَالتَّقْدِيرُ: فَإِنْ تَابَا مِمَّا فَعَلَاهُ
مِنَ الْفَاحِشَةِ، وَحُذِفَ ذَلِكَ لِلْعِلْمِ بِهِ أَيْضًا، وَلَوْلَا يُصْرَحُ بِذِكْرِ لَفْظِ
الْفَاحِشَةِ؛ لَشَاعَا حَقِيقَتُهَا.

وَحُذِفَ مُتَعَلِّقُ الْفِعْلِ ﴿وَأَصْلَحَا﴾ لِإِرَادَةِ التَّعْمِيمِ؛ فَإِنَّ حَذْفَ
الْمُتَعَلِّقِ مُؤَدِّنٌ بِذَلِكَ، فَأَفَادَ هَذَا الْحَذْفُ عُمُومَ الْإِصْلَاحِ؛ لِيَشْمَلَ
إِصْلَاحَ نَفْسِهِمَا وَإِصْلَاحَ مَا أَفْسَدَاهُ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذِهِ
قَصْدَ الْعُمُومِ ابْنُ عَطِيَّةٍ: إِذْ قَالَ: "فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ، إِذَا تَابَ
الزَّانِيَانِ وَأَصْلَحَا فِي سَائِرِ أَعْمَالِهِمَا أَنْ يُكَفَّ عَنْهُمَا الْأَذَى"⁽¹⁾.

بَلَاغَةُ تَعْلِيقِ جَوَابِ الشَّرْطِ عَلَى مَجْمُوعِ الشَّرْطِ:

الإِعْرَاضُ
عَنِ أَصْحَابِ
الْفَوَاحِشِ بَعْدَ
التَّوْبَةِ وَالْإِصْلَاحِ

جَاءَ الْجَزَاءُ (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا) مُتَعَلِّقًا بِجُمْلَتِي الشَّرْطِ (تَابَا
وَأَصْلَحَا)، فَالْجَزَاءُ الَّذِي هُوَ وَجُوبُ الْإِعْرَاضِ عَنْهُمَا أَمْرٌ يَتَعَلَّقُ
إِيجَابُهُ بِمَجْمُوعِ مَا حَصَلَ مِنَ الْجُمْلَتَيْنِ، فَلَيْسَ هُوَ لِلتَّوْبَةِ عَلَى الْإِنْفِرَادِ
وَلَا لِلْإِصْلَاحِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ هُوَ لِحَصُولِ التَّوْبَةِ وَالْإِصْلَاحِ كِلَيْهِمَا.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِ: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ دُونَ (فَتَوَلَّوْا عَنْهُمَا):

وُجُوبُ الْإِعْرَاضِ
عَنِ التَّائِبِ وَتَرْكِ
تَعْنِيهِ عَمَّا تَابَ
مِنْهُ

جَاءَ التَّعْبِيرُ بِالْإِعْرَاضِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ دُونَ
(تَوَلَّوْا عَنْهُمَا)؛ لِلإِسْغَارِ بِوُجُوبِ الْإِنْصِرَافِ عَنْهُمَا بِالْكَلْيَةِ؛ لِأَنَّ
الْمُتَوَلَّى هُوَ الَّذِي يُطْمَعُ فِي رَجُوعِهِ؛ لِأَنَّ تَوَلَّيَهُ قَدْ يَكُونُ لِحَاجَةٍ تَدْعُو
إِلَى الْإِنْصِرَافِ مَعَ إِمْكَانِيَّةِ الرَّجْعَةِ، وَالْمُعْرِضُ لَا يُطْمَعُ فِي رَجُوعِهِ
بِوَجْهِهِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْإِعْرَاضِ هُوَ الْإِنْصِرَافُ عَنِ الشَّيْءِ بِالْقَلْبِ، وَتَخْطِي

(1) ابن عَطِيَّةٍ، لِلحَزَرِ الْوَجِيزِ: 2/23.

البدن له⁽¹⁾، إذ الإعراض بالبدن ليس بمفيدٍ في تركِ الإيذاء؛ فآثَر لفظَ الإعراضِ عِنْدَ الكَفِّ؛ لِمَا فِي قُوَّةِ الْكَلِمَةِ مِنَ الْغَضِّ مِنَ الرُّنَاةِ، وَإِنْ تَابُوا؛ فَالْإِعْرَاضُ هُنَا لَيْسَ أَمْرًا بِهَجْرَةٍ، بَلْ هُوَ مُتَارِكَةٌ مَعْرِضٍ احْتِقَارًا لِلْمَعْصِيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ⁽²⁾.

نَكَاتُ تَصْدِيرِ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ بِـ ﴿إِنَّ﴾:

أفادت ﴿إِنَّ﴾ في صدر آية التذييل في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ نكات:

سَعَةً رَحْمَةِ اللَّهِ
تَعَالَى بِعِبَادِهِ:
مُطِيعِهِمْ
وَعَاصِيَهُمْ

أولها: إفادة ربط مضمون جملة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ بما قبلها؛ لِتَكُونَ مُتَأَلِّفَةً مَعَهَا، مُتَّحِدَةً بِهَا، حَتَّى كَأَنَّ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا قَدْ أَفْرَعًا إِفْرَاعًا وَاحِدًا، وَقَدْ سُبِكَ أَحَدُهُمَا بِالْآخِرِ، وَلَوْ أُسْقِطَتْ ﴿إِنَّ﴾ انْقَطَعَ الْكَلَامُ وَنَبَا عَنِ الَّذِي سَبَقَهُ، وَهَذَا الْأُسْلُوبُ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ⁽³⁾.

ثانيها: الإشعار بأن ما بعدها جوابٌ عن سؤالٍ، فكأن سائلاً سأل: هل من توبةٍ للذين يفعلون هذا الفعل الشنيع؟ فكأن المخاطب ظنَّ أن لا توبةَ لِمَنْ يَفْعَلُ هذا الفعل الشنيع، فكان الموضع موضع افتقارٍ إلى ﴿إِنَّ﴾⁽⁴⁾؛ لِتَكُونَ جَوَابًا عَنْ هَذَا السُّؤَالِ الْمُقَدَّرِ مِنْ مَخَاطَبٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ؛ لِیَفِيدَ أَنَّ مِنْ حَقِّ أَيِّ مَخَاطَبٍ أَنْ يَسْأَلَ هَذَا السُّؤَالَ، وَتَقْدِيرُ الْجَوَابِ: نَعَمْ لَهُمْ تَوْبَةٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ مُوصُوفٌ بِكَوْنِهِ تَوَّابًا رَحِيمًا، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ بَيْنَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَمَا قَبْلَهَا شَبَهُ كِمَالِ الْإِتِّصَالِ، وَلِذَا فُصِّلَتْ بِتَرْكِ الْوَائِ فِي صَدْرِهَا.

ثالثها: إفادة تأكيد وصفِ الله تعالى بالتَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ، بَعْدَ تَأْكِيدِ هَذَا الْوَصْفِ بِمَجِيئِهِ فِي جُمْلَةٍ اِسْمِيَّةٍ دَالَّةٍ عَلَى الثُّبُوتِ وَالِاسْتِمْرَارِ،

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/358، والزَّاعِبُ، تفسير الزَّاعِبِ: 1/248، والكُفُوفِ، الكَلِمَاتِ، ص: 28.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/23، والقونوي، حاشية القونوي على تفسير البضاوي: 7/74.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 316.

(4) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 325.

فاجتمع تأكيدان لمناسبة المقام، فإنَّ العقوبات المذكورة على فعل الفاحشة قد تُوهَّم أن لا توبة لِفَاعِلِهَا، فَنَاسَبَ تأكيد الوصفِ لِلتَّحْرِيزِ عَلَى الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّوْبَةِ مِنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ. رابعها: إفادة تعليل الأمر بالإعراض عَمَّنْ يَفْعَلُ الْفَاحِشَةَ⁽¹⁾، وقد أفاد التَّعْلِيلُ بـ ﴿إِنَّ﴾ التَّوْبَةَ فِي تَرْكِ الْفِعْلِ الْمَذْكُورِ، وَالتَّوْبَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ.

دَلَالَةُ صِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى الْوَارِدِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿تَوَابًا رَحِيمًا﴾:

اللَّهُ تَعَالَى وَاسِعُ
التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ،
كَثِيرُهُمَا

وَرَدَ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى: التَّوَابُّ وَالرَّحِيمُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَابًا رَحِيمًا﴾ بصيغة المبالغة؛ لإفادة أمرين:

أحدهما سعة توبته سبحانه ورحمته، وشمولهما كُلَّ التَّائِبِينَ. والآخر: كثرة توبته ورحمته على عباده المؤمنين، وفي ذلك تَرْغِيبٌ فِي تَوْبَةِ الْعَاصِينَ، وَحَثٌّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَيْهَا.

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى (التَّوَاب) عَلَى اسْمِهِ تَعَالَى (الرَّحِيم) فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَابًا رَحِيمًا﴾:

تَوْبَةُ اللَّهِ تَعَالَى
عَلَى الْعِبَادِ أَنْزَرُ
مِنْ أَنْزَارِ رَحْمَتِهِ
سُبْحَانَهُ

لَمَّا كَانَتْ تَوْبَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الْفَوَاحِشَ الَّتِي أَمَرَ بِاجْتِنَابِهَا أَمْرًا عَظِيمًا؛ اقْتَضَى أَنْ يُعْقَبَ التَّوْبَةُ بِالرَّحْمَةِ؛ بَيَانًا لِسَعَةِ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ بِهِمْ لَمَّا تَابَ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَفَادَ التَّعْقِيبُ أَنَّ اللَّهَ سَيَرْحَمُهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِ عَلَيْهِمْ، فَتَقْدِيمُ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى التَّوَابِ عَلَى اسْمِهِ الرَّحِيمِ هُوَ مِنْ بَابِ التَّخْلِيَةِ قَبْلَ النَّحْلَةِ.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/155.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع

القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 6، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-58-3

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 6: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-58-3

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»